

القارئ العربي وإعادة تأويل النص الأسلوبي

The Arab Reader and the Reinterpretation of the Stylistic Text

شرفاوي نورية*

جامعة أحمد بن بلة وهران 1، (الجزائر)، nouriacherfaoui@yahoo.com

تاريخ الارسال 2025-07-23. تاريخ القبول 2025-08-12 تاريخ النشر 2025-12-17

ملخص:

بعد النقد الأسلوبي أحد أهم المناهج النقدية الحديثة، التي تهتم بتحليل بنية النص الأدبي وكشف جمالياته من خلال دراسة خصائصه اللغوية والأسلوبية، وقد أسهمت الدراسات الأسلوبية في تحديد طرق قراءة النصوص وإبراز القيم الجمالية الكامنة فيها بعيدا عن الأحكام المعيارية أو التفسيرات الإيديولوجية .

غير ان اعتماد هذا المنهج في النقد العربي الحديث اصطدم بعدة عوائق، لعل أبرزها ضعف الوعي النقدي لدى القارئ العربي العادي، وغياب الثقافة الأسلوبية في مناهج التعليم، إضافة إلى الطابع الأكاديمي المجرد الذي يغلب على الدراسات الأسلوبية، مما يجعلها بعيدة المنال عن إدراك المتلقي غير المتخصص.

وتكمن إشكالية القارئ العربي في هذا السياق في عدم قدرته على التفاعل الإيجابي مع التحليل الأسلوبي للنص، مما يحد من فعالية هذا المنهج في توسيع دائرة التلقي والتأويل. لذلك يدعو البحث إلى ضرورة إعادة النظر في طرائق تقديم النقد الأسلوبي، من خلال تبسيط المصطلحات، وتوظيف أمثلة تطبيقية مناسبة، وتكثيف الجهود التثقيفية التي تسهم في تدريب القارئ العربي على مهارات القراءة النقدية الجمالية، بما يعزز حضوره كطرف فاعل في عملية إنتاج المعنى الأدبي .

حيث تسعى هذه الورقة البحثية أيضا إلى المساهمة في إثراء الحوار النقدي العربي، ودعم جهود تطوير المناهج النقدية بما يخدم التفاعل الإبداعي بين النص والقارئ.

الكلمات المتاحية: القارئ العربي، التلقي الأدبي، النقد الأسلوبي، جماليات النص، الثقافة النقدية .

Abstract :

Stylistic criticism is one of the most important modern critical approaches, focusing on analyzing the structure of a literary text and uncovering its aesthetics through the study of its linguistic and stylistic characteristics. Stylistic studies have contributed to renewing methods of reading texts and highlighting their inherent aesthetic values, free from normative judgments or ideological interpretations. However, the adoption of this approach in modern Arabic criticism has encountered several obstacles, perhaps the most prominent of which are the weak critical awareness of the average Arab reader, the absence of a stylistic culture in educational curricula, and the abstract academic nature that predominates in stylistic studies, rendering them

inaccessible to the non-specialist recipient. The problem facing the Arab reader in this context lies in his or her inability to interact positively with the stylistic analysis of the text, which limits the effectiveness of this approach in expanding the scope of reception and interpretation. Therefore, the research calls for a reconsideration of methods for presenting stylistic criticism by simplifying terminology, employing appropriate applied examples, and intensifying educational efforts that contribute to training the Arab reader in aesthetic critical reading skills, thus enhancing their presence as an active participant in the process of producing literary meaning. This research paper also seeks to contribute to enriching the Arab critical dialogue and supporting efforts to develop critical approaches that serve the creative interaction between text and reader

Keywords: The Arab reader, literary reception, stylistic criticism, aesthetics of the text, critical culture

المقال : القارئ العربي وإعادة تأويل النص الأسلوبي

1. مقدمة :

يشهد النقد الادبي العربي في العقود الأخيرة إنفتاحاً ملحوظاً على مناهج نقدية حديثة، من بينها النقد الاسلوبي الذي يُعد من أكثرها ارتباطاً ببنية النص ولغته وطرائق صياغته الفنية. وقد أسهم هذا المنهج في إثراء الدراسات الأدبية العربية عبر تقديم أدوات تحليلية جديدة تسعى إلى الكشف عن جماليات الأسلوب وخصوصية التعبير لدى الاديب. غير أن هذا الانفتاح المنهجي لم يكن خالياً من التحديات، إذ برزت إشكالية جوهرية تتعلق بمدى تفاعل القارئ العربي مع هذا النمط من الدراسات النقدية، في ظل تفاوت مستويات الوعي النقدي والثقافة القرائية، وصعوبة المصطلحات النظرية التي يعتمدها النقد الأسلوبي في مقارباته.

ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة التي تحاول تسليط الضوء على العلاقة بين النقد الاسلوبي وإشكالية القارئ العربي، من خلال رصد أبرز العوائق التي تحول دون تحقيق التلقي الفاعل، وتحليل أسباب هذه الفجوة واقتراح آليات لتقريب هذا المنهج من المتلقي العربي، بما يسهم في تنمية مهارات القراءة الجمالية وتعزيز التواصل بين الناقد والقارئ والنص الأدبي ومن هنا يسعى البحث إلى الإجابة على الإشكال التالي

كيف يمكن توظيف النقد الأسلوبي في تحليل النصوص الأدبية العربية بما يتوافق مع مستوى القارئ العربي، ويعزز قدرته على الفهم والتأويل الجمالي؟

2. مفهوم النقد الاسلوبي وأهميته في تحليل النصوص الأدبية

يعد النقد الأسلوبي منهجاً نقدياً حديثاً، يهتم بدراسة البنية اللغوية للنصوص وتحليل المستويات الأسلوبية للكشف عن الخصائص الجمالية والدلالية التي تميز أسلوب الكاتب. ويعتمد على أدوات مستمدة من اللسانيات والبلاغة الحديثة، مستفيداً من التحليل الصوتي والتركيبى والدلالي للنص.

ويُعرف النقاد الأسلوب بأنه طريقة خاصة في استعمال اللغة، وهو الإنسان نفسه على حد تعريف الباحث الألماني "ليو شبينسر" مشيراً إلى أن الأسلوب هو البصمة الفردية المميزة لكل كاتب. ولذلك كانت "الاسلوبية هي الكشف عن الوظيفة الأدبية للنص داخل بنية لغوية تتجاوز الأداء اليومي"¹ فقد برز في السياق العربي النقد الأسلوبي

مع محاولات التعريب والاقتراس من المدارس الغربية ، خاصة المدرسة الفرنسية مع شارل بالي وميشال ريفاتير وغيرهما ، وقد تداخل الأسلوبي مع اللسانيات ، فاستفاد النقاد العرب من أدوات التحليل اللغوي في دراسة النصوص ، كما تجلّى ذلك في كتب **صلاح فضل** مثل كتاب **"أساليب السرد في الرواية العربية"** الذي يعد من أبرز الدراسات العربية التي وظفت المنهج الأسلوبي تطبيقاً. ورغم ذلك لم يجد النقد الأسلوبي طريقاً سهلاً إلى المتلقي العربي ، إذ بقي حبيس الدوائر الأكاديمية بسبب كثافة المصطلحات وتعقيد المفاهيم ، إلى جانب ضعف الثقافة النقدية لدى القارئ العربي ، الذي مازال يتعامل مع النص الأدبي من منظور أخلاقي

فعلى سبيل المثال إذا نظرنا إلى تحليل قصيدة **"المساء" لإليّا أبي ماضي** "كان تحليل تقليدي ركّز فيه على موضوع الحزن والتشاؤم والأمل ، بينما التحليل الأسلوبي يذهب إلى أبعد من ذلك بدراسته للتكرار والإيقاع وتوظيف الرموز والضمائر والصور الصوتية التي تخلق الانسجام الداخلي للنص . هذه القراءة الأسلوبية ، ورغم أهميتها ، قد لا يجد فيها القارئ العربي متعة إذا لم يُدرب على أدواتها أو بتهياً ذهنه لتذوق تفاصيل اللغة بدلا من الاكتفاء بالمعنى العام.

وقد أسهم النقد الأسلوبي في إثراء الدراسات الأدبية العربية من خلال تحديد طرائق قراءة النصوص بعيدا عن التفسير السطحي أو الاحكام المعيارية . وبتضح ذلك في أعمال النقاد العرب المعاصرين أمثال **عبد السلام المسدي** حيث نجده قد طبق أدوات التحليل الأسلوبي على نصوص عربية معاصرة ، ونفسه ما أقدم عليه **محمد مفتاح** حيث دعا إلى قراءة النص قراءة ديناميكية تستكشف تفاعل البنية والأسلوب والمعنى.

كما تتجلى أهمية النقد الأسلوبي أيضا في العودة إلى التراث العربي ، إذ مارس البلاغيون العرب أشكالا من التحليل الأسلوبي قبل ظهور المصطلح الحديث ، فقد أشار **عبد القاهر الجرجاني** في **"دلائل الإعجاز"** إلى أهمية النظم والتركيب في توليد المعنى الجمالي للنص ، وهو ما يعد نواة مبكرة للنقد الأسلوبي في الثقافة العربية.

3. إشكالية القارئ العربي في تلقي التحليل الأسلوبي

لقد تحولت وظيفة القارئ في النقد الحديث من مستهلك للمعنى إلى منتج له . يرى هانس روبرت ياوس أن القراءة فعل تفاعلي يقوم فيه القارئ بملء الفجوات النصية . وينطبق ذلك على القارئ العربي الذي يجد في النص الأسلوبي فضاء حراً للتفسير وإعادة البناء ، على الرغم من القيمة العلمية للنقد الأسلوبي ، إلا أن تطبيقه في النقد العربي الحديث واجه عدة عوائق أبرزها ضعف الوعي النقدي لدى القارئ العربي العادي ، وغياب الثقافة النقدية الجمالية في المناهج الدراسية ونتيجة لذلك ، غالبا ما يتعامل القارئ مع النص الأدبي من منظور انفعالي أو وعظي ، متجاهلا جماليات اللغة وطرائق التعبير الفني . فالمتتبع مثلاً لتحليل بعض الأشعار العربية الحديثة ، أو بعض نصوص **بدر شاكر السياب** يدرك جيدا أن القارئ كان يركز على المعاني المباشرة للحزن أو الغربة ، دون أن يلتفت إلى جماليات التكرار الصوتي أو الرمزية أو الانزياحات الأسلوبية التي تُضفي على النص عمقه الدلالي .

كما أن الدراسات الأكاديمية المتخصصة كثيرا ما تقدم التحليل الأسلوبي بلغة تقنية ومصطلحات صعبة ، مما يزيد من عزلة القارئ عنها . وقد أشار محمد مفتاح في "دينامية النص" إلى أن تحصيل القارئ بمهارات القراءة النقدية ضرورة ملحة لجعل هذا المنهج أكثر فاعلية وانتشارا.

4. آليات تقريب النقد الأسلوبي من القارئ العربي

لتجاوز هذه الإشكالية وتحقيق التفاعل المنشود بين النقد الأسلوبي والقارئ العربي ، لا بد من اتخاذ خطوات عملية على المستويين الأكاديمي والثقافي ، من أبرزها .

1.4 تبسيط المفاهيم والمصطلحات

إذا كان النقد الأسلوبي هو طريقة في تحليل النصوص الأدبية ، فإن التركيز على كيف يُقال الكلام يكون أكثر من ماذا يُقال وهنا يكون الأمر متعلق بأسلوب الكاتب (أي طريقته في التعبير) مثل اختياره للكلمات، طريقة ترتيب الجمل ، استخدام الصور البلاغية ، الإيقاع ، التكرار وغيرها . ومن هنا فإن الغرض هو كشف شخصية الكاتب وموقفه النفسي من خلال أسلوبه ، وليس فقط شرح المعنى الظاهري . ولكن السؤال المطروح هو كيف نبسط أهم المفاهيم في القراءة الأسلوبية؟

2.4 الانزياح (العدول)

وفيه لا يكتب الكاتب الكلام بطريقة عادية أو مألوفة ، بل يغير الأسلوب ليصدم القارئ و يلفت انتباهه فمثلا في قول الشاعر أدونيس في قصيدة "الفراغ"

"وتلك المقاهي ، وتلك الملاهي فراغ"²

الجملة غير مألوفة في المعنى لأن الشاعر غير السياق المعتاد للتعبير عن شدة الفراغ من خلال عبارة غير منطقية ، لأن المعنى العادي لا يقبل أن المقاهي والملاهي يكونان فارغان بل بالعكس شوارع المدن العربية تكاد تكون مكتظة بهما وهذا غير منطقي ظاهريا ، ولكنه ابداعي وجمالي لأن الشاعر خرج عن المألوف ليحقق "الانزياح الدلالي".

3.4 التكرار

وهو إعادة نفس الكلمة أو العبارة أكثر من مرة لابرز معناها أو تأثيرها فمثلا في قول أدونيس في نفس القصيدة "الفراغ"

"فراغ زمان بلادي فراغ"³

نلاحظ تكرار كلمة فراغ مرتين في نفس الجملة فكانت هي المبتدأ وهي ذاتها الخبر ليُظهر حالة الملل والركوض التي أصابت المجتمع العربي واثرت على نفسيته وبالتالي ينكشف للقارئ شعور المتكلم ، و منه يكون للتكرار وظيفة نفسية وجمالية.

1.4. الإيقاع

ويشمل الموسيقى الداخلية للنص، ويمكن ان تكون واضحة في الشعر عبر الوزن والقافية او خفية في النثر عبر التكرار والتناغم الصوتي . ففي مقطع من قصة الفجاج الشائكة يقول عز الدين جلاوي "حين بدا الرجال يتهيبون لم يتهيب... حين بدا الرجال يتراجعون، راح هو يتقدم... يتقدم بثبات الرجال الكبار"⁴ هنا الإيقاع يتولد من التكرار والتوازي فيعطي النص شحنة انفعالية قوية.

5.4. الصورة الاسلوبية

هي استخدام التشبيه او الاستعارة، او المجاز لرسم مشهد جمالي او تعبيرى. يقول عز الدين جلاوي في نفس القصة "...وسيعدو رجلا نغرس فيه بذور الرجولة والوطنية..."⁵ وهنا نجده قد وظف استعارة توحى بالامل والتفاؤل . في غدا افضل يصنعه الرجال المتشربون للوطنية

6.4. الضمير وأسلوب السرد

وفيه يوظف الاديب الضمير (انا، هو، نحن) ليكشف موقعه او موقع الشخصية من الحدث. فمثلا إيليا أبو ماضي في قصيدة "انا" يقول انا لا تغشيني الطيالس والحلى كم في الطيالس من سقيم اجر⁶ استخدم الضمير "انا" ليعبر عن كيف يكون الانسان ، وكيف يجب ان ينظر الى الآخر وهنا يتجلى القرب العاطفي والمشاركة الوجدانية الانسانية البعيدة عن المظاهر الخداعة. ومن خلال ما سبق يظهر كيف تُبسط المفاهيم الاسلوبية للقارئ العربي اكايمي او متمدرس في تعامله مع النصوص . والذي يمكن ايجازه في النقاط التالية:

✓ تعريف المفهوم بلغة يومية

✓ تقديم مثال واقعي (شعري او نثري)

✓ شرح التأثير الجمالي او النفسي للمصطلح

✓ ربط ذلك بمقصد الكاتب او الشخصية.

فعلى الباحثين والنقاد صياغة المفاهيم النقدية بلغة واضحة تراعي الفروق بين القارئ المتخصص وغير المتخصص، مع تجنب الافراط في التعقيد الاصطلاحي ، ويمكن استلهاهم أسلوب النقاد المحدثين مثل صلاح فضل الذي زاوج في كتبه بين الدقة العلمية وسلاسة الأسلوب ، ومن الواجب تقديم التحليل الأسلوبي مع أمثلة من نصوص يعرفها القارئ العربي ، سواء شعرا أو نثرا ، لتقريب الفكرة النظرية من التطبيق العملي ، كتحليل ظاهرة التكرار الصوتي كما راينا في قصيدة "فراغ" لأدونيس أو دراسة الأسلوب الحوارى في روايات نجيب محفوظ

7.4. تعزيز دور التعليم والإعلام الثقافي

من الضروري إدراج دروس في التحليل الأسلوبي ضمن مناهج اللغة العربية والادب في المدارس والجامعات بأسلوب تفاعلي وتطبيقي ، إلى جانب نشر مقالات وبرامج ثقافية مبسطة تعرف القارئ بأساليب قراءة النص قراءة جمالية.

وبذلك يتحقق الهدف من النقد الأسلوبي بوصفه جسرا بين النص والقارئ لا مجرد أداة أكاديمية نخوية ، مما يعزز التذوق الأدبي ويعيد للنص مكانته الحيوية في الثقافة العربية. ومن هنا كان لا بد لنا من العودة إلى الآليات التي كان يدرس بها النص الأدبي حتى وصل مستوى التلقي للقارئ العربي إلى هذا السقف المعرفي المحدود.

8.4. الآليات التقليدية (الكلاسيكية)

1- الآلية البلاغية ارتكزت فيه على:

• علم المعاني

وفيه يتم مراعاة مقتضى الحال في ترتيب الكلام وتراكيبه وتحليل الظواهر مثل: التقديم والتأخير، الحذف والذكر، الفصل الوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة. لتقييم ملاءمة الأسلوب للمقام فمثلا يقول المتنبي

"إذا غامرت في شرف مروم فلا تنقع بما دون النجوم"⁷

لتحليل البيت بالآليات الأسلوبية الكلاسيكية يجب تتبع مايلي

• البنية النحوية

- نوع الجملة . شرطية (إذا غامرت....) تفيد التحفيز والتحريض وهو ملائم لغرض البيت

والفعل "غامرت" استخدامه في أول الكلام يوحي بالاقدام والجرأة.

كما يظهر جواب الشرط في قوله "فلا تنقع بما دون النجوم" ناتي لتأكيد الارتقاء والسمو ، وهي نتيجة منطقية للشرط.

• علم البيان

والهدف منه ابراز القدرة التصويرية والرمزية في النص. ففي قول المتنبي "غامرت في شرف مروم" وظف استعارة وكأن الشرف بحر تُغامر فيه ، وهذه استعارة مكنية تُظهر ضخامة الهدف ، اما الكناية فتظهر في قوله "النجوم" وهي كناية عن المعاني العليا او الأهداف السامية . ومن هنا تُبرز هذه الآلية جمالية الأسلوب وقوة اللغة.

• علم البديع

وفيه يلجأ الناقد لتحليل المحسنات اللفظية والمعنوية والهدف منها قياس جمالية التعبير ودقة التركيب.

وبالعودة لبيت المتنبي المذكور انفا نجد الطباق بين "غامرت وتنقع" فالأولى فيها جرأة، والثانية فيها رضا وقناعة والسجع موجود بصورة خفيفة في تقارب "مروم والنجوم" مما يُضفي نغمة موسيقية جميلة.

أما التناسق الصوتي فيظهر في الالفاظ التي تحتوي على أصوات قوية (الغين، القاف، الراء) مما يعطي البيت نبرة حماسية.

• الآلية النحوية والصرفية

تعتمد على دراسة بنية الجملة وقواعد اللغة ومدى تأثيرها في الأسلوبي حيث تحلل النصوص من منظور نحوي وصرفي مع الإشارة على أنها كانت تستخدم لفهم الاعجاز القراني سابقا. يتم من خلالها تحليل صيغ الأفعال، بنية الكلمة، المشتقات، والتراكيب. وهكذا يتم فهم التلوين الأسلوبي بين الجمل الاسمية والفعلية، أو بين الماضي والمضارع.

• الآليات الإيقاعية (الموسيقى اللفظية) وتشمل

الإيقاع الخارجي الوزن والقافية في الشعر.

الإيقاع الداخلي التكرار، التوازي، التنغيم الصوتي، الجناس.

تستخدم لقياس اثر الإيقاع في التأثير الفني والسمعي للنص. ومن خلال بيت المتنبي المعتمد في هذه الدراسة كمجال للتطبيق يظهر الإيقاع الخارجي في اختيار البحر الكامل، المناسب للفخر والتحفيز، لانه يُضفي حركة وقوة. اما القافية فكانت النجوم وحرف الروي هو حرف الميم المضمومة ليعطي صوتا مفتوحا يتناسب مع الانطلاق.

• الطبع والصنعة وهما معياران كلاسيكيان في نقد الأسلوب

الطبع: السلاسة والعفوية في الأسلوب.

الصنعة: التكليف والافتعال في الصياغة.

وقد فُضِّل الطبع عن الصنعة لانه أكثر صدقا وتأثيرا. ونلاحظ ان البيت من الطبع أكثر منه الصنعة لان الالفاظ بسيطة غير متكلفة، لكن ذات اثر كبير. وفيه وضوح في المعنى، مع فخامة الأسلوب، وهي خاصية ميزت أسلوب المتنبي

• التناسب بين اللفظ والمعنى وهي من اهم معايير الاسلوبية التقليدية

تقيّم بلاغة النص بناء على مدى مطابقة اللفظ للمعنى وملاءمة الصورة للموقف وتحقيق توازن التعبير مع العاطفة والفكرة. مثلا الالفاظ الموظفة في البيت الشعري هي الفاظ العلو والرفعة (غامرت، شرف، مروم، النجوم) تتناسب تماما مع فكرة الطموح والارتقاء التي عُرف بها شاعرنا. كما لاننسى عامل التكرار والارتباط الدلالي سواء اكان لفظي او معنوي وتأثيره اسلوبيا اما على مستوى المفردة او الجملة.

ليتضح مما سبق ان الآليات الاسلوبية الكلاسيكية في التلقي العربي تقوم على تحليل جمالي لغوي دقيق للنص، من خلال أدوات البلاغة، والنحو، والإيقاع، وتهدف الى ابراز تميز الأسلوب وقوة التعبير وعمق المعنى.

ومنه نستنتج ان التحليل الاسلوبي القديم يركز فقط على جماليات الأسلوب وهذا ما عطل القارئ العربي الحديث في قراءته للنصوص الادبيه من منظور الاسلوبية الحديثة وفي فهمه للاختيارات اللغوية التي يقوم بها الاديب مما جعله لا يفهم كيف وظف الكاتب الصور او الأساليب غير المباشرة لخلق الجمال؟.

5. الأسلوبية والنقد العربي الحديث:

إن الأسلوبية هي تحقق فعلي للبنى والقوانين اللسانية واللغة هي أداة بيايها، تحاذبتها القراءات السياقية و القراءات النسقية من جهة أخرى، و حاول التفكير الأسلوبي الذي يعتمد على حياة المؤلف في تحديد الواقعة الأسلوبية و أن يجعل منها جسراً لمعرفة نمط التفكير لدى الأديب و في هذا السياق يرى الكثير من النقاد أن لشخصية الشاعر تأثيراً قويا في لون الأسلوب فتضيف إليها مزايا خاصة فوق هذه المزايا الموضوعية العامة فالأسلوب هو صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره و كيفية نظرتة للأشياء و تفسيره لها و طبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساسه. و بهذا يمكن تصنيف الأسلوبية التي تركز على المؤلف ضمن الإطار العام للقراءات السياقية التي تمجد هيمنة المؤلف و تعمق مفهوم النص / الوثيقة لأنها تعرف الأسلوب بأنه يتمثل في الوظيفة الشعرية إضافة إلى الوظائف الأخرى التي حددها **رومان جاكسون** و تحت تأثير البنيوية الدلالية أضحي الأسلوب محصورا في الظاهرة اللغوية نفسها في النص الأدبي و إن كان وليد لصاحبه فإن الأسلوب هو وليد النص ذاته لذلك يستطيع الأسلوب أن ينفصل عن المؤلف لأن رابطة الرحم بينهما حضورية في لحظة الإبداع و الإيقاع وهذا المنظار في تحديد ماهية الأسلوب الذي يستمد ينابيعه من مقومات الظاهرة اللغوية في خصائصها البارزة و نواميسها الخفية . لقد حظي النقد الألسني باهتمام واضح في السنوات الأخيرة في القرن الماضي في العالم العربي ، وخصوصا منه الأسلوبية ، فالمتتبع للنقد العربي الحديث يدرك أن البداية كانت مع الناقد الأسلوبي **عبد السلام المسدي** من خلال تقديمه للنموذج المعرفي للقراءة الأسلوبية وذلك انطلاقا من تحديد مرجعياته اللسانية وأخذها بأطراف البنى المكونة للسياق الإبداعي حيث تتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الاخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية، فالاستجابة الألية للنص تعني افتقار النص إلى عنصر المثير الأسلوبي الذي يحقق عنصر الغرابة وبه. تتحقق القيمة والمتعة الفنية المتمثلة في أدبية النص الشعري لتصبح اللغة الشعرية وسيلة من وسائل النص المحملة بالدلالات المتعددة واللامحدودة، لذلك اعتمد البحث الأسلوبي على العمل الأدبي نفسه وليس أي فكرة قبلية خارج هذا العمل "فتمثل القراءة الأسلوبية مغامرة لاكتشاف الأسرار الكامنة وراء التركيبات اللغوية في عمل أو أعمال محدودة بعينها وصولا من المحسوس إلى المجرد ومن الجزئي إلى الكلي.

1.5. مداخل التحليل الأسلوبي :

يختلف التحليل الأسلوبي فقد يكون المدخل بنيويا يبحث في مباني المفردات وتراكيب الجمل وأشكال النصوص وهندسة الآثار، أو دلاليا أو بلاغيا ، أو بتقنيات إحصائية ، معنى ذلك أن الأسلوبية علم موضوعه دراسة الأسلوب أما منهجه فقد يكون البنيوية نفسها أو على بعض الإجراءات وعلى رأسها الانزياح. **فما علاقة هذا الأخير بالأسلوبية؟**

يعد الانزياح قاعدة أسلوبية متينة، و **دو سوسور** هو أول من عرفه من خلال تمييزه بين اللغة والكلام باعتبار مجموع الانزياحات الفردية التي يصنعها مستعملوا اللغة هو دليل العبقرية الفردية للكاتب وكل ذلك يدل على انحراف المتكلم أو الكاتب عن المؤلف المتداول في الاستعمال الأسلوبي إلى شيء آخر.

فهو يرجع إلى عبارة **بيفون** الشهيرة: الأسلوب هو الرجل ذاته، لذلك كان الانزياح أسلوباً فردياً من حيث هو عدول عن الاستخدام العادي ونكتشف حينها ربط انشاء الشعرية بحسن التصرف في اللغة.

يحقق الانزياح عنصر المفاجأة التي تهز القارئ وهو ما أطلق عليه في نظرية التلقي (خيبة الانتظار)، التي تحدث لدى المخاطب والانزياح أنواع أهمها: الانزياح البلاغي، الانزياح النحوي، الانزياح الوصفي والانزياح الأسلوبي. ولعل هذا الأخير أكثر صلة باستعمال اللغة وتوظيفها خصوصاً فيما يخص بناء الجمل وتلخيص الأسلوب الأدبي من الرتبة والجمود، تنتمي هذه الأسلوبية للأسلوبية السيكلوجية هذا ما يكرس ثقافة التغيير الأسلوبي وما يحدث فيه من انحراف مفاجئ لم يكن المتلقي في الغالب ينتظره، وهو انتهاك لنظام اللغة والخروج عن الدلالة المعجمية في استعمالها المألوف وهذا ما لاحظته عبد الملك مرتاض من خلال قصائد الخطيئة وكيف أنه جعل اسم الفاعل يمثل اسم المفعول في بيته المشهور الذي هجا فيه الزبرقان في قوله:

"دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي" 8

يرى أن الشاعر قد اعتمد في الشطر الأول هجاء امقذعا باللغة المألوفة بين الناس فهو يشتم مهجوه الزبرقان، ويحذره من الطمع في الارتحال إلى طلب المكارم لأن المكارم ليست سوى للأكارم ولكنه في الشطر الثاني نجده قد خرج عن المألوف وانتهك النظام اللغوي فخرج عن الدلالة المعجمية في استعمال المألوف، فخرج الخطيئة من الدلالة العامة للسان، ومما ألفه الناس في استعمال المبتذل لمعاني اللغة المعجمية، إلى الدلالة الخاصة أو الحميمية حين جعل الخطيئة المهجو كأنه من كرمه وسخائه لم يزل يطعم الناس ويقربهم. فقلب الدلالة الظاهرة بجعله معن اسم الفاعل يتحول إلى اسم المفعول. ولم يعد النحو بإجراءاته المحدودة قادراً على تبليغ المعنى فتوقفت الوظيفة الإعرابية وتركت المكانة للانزياح الأسلوبي ليصدم القارئ وكأن الشاعر لم يهتج الزبرقان، بل مدحه، كما لم يعد الانزياح في الشعر الحديث قائماً على مجرد وظيفة الصبغ بل تعداه إلى توظيف المجازات الشخصية فتصبح اللغة الشعرية محملة بهذه المجازات فيصنع لغة مختلفة كل الاختلاف عن لغة الشعر القديم.

وقد خصص **بوحوش** فصلاً بين من خلاله شعرية (الانزياح في الأنظمة اللغوية) ولعل أبرز ما استوقف ناقدنا في شعر أبي الوليد انزياح الأسلوب الاستفهامي قد يخرج من معناه الأصلي بفعل الانزياح لتحقيق أغراض أخرى منها: التقرير أو الإنكار أو التعجب أو النفي أو الاستعطاف أو الاستبعاد أو التهويل أو التنبيه وغيرها.

هذه المواطن تكشف عما في نفس الشاعر من حيرة غالبية وقلق عام فولد ثراء الدلالة والايحاء لذلك هو يرى في خطاب الشاعر دور القادح المنشط للحركة الشعرية ومن خلالها المتلقي الذي خلخلت وجدانه وهزت كيانه في مواقف كثيرة ويستمر **رابح بوحوش** في الكشف عن صور الانزياح كظاهرة أسلوبية في الشعر خصوصاً عند البحري ليقف على المجاز العقلي وما له من خصائص جمالية وإيحائية، كقوله في سنيته المشهورة:

"وقماسكت حين زعزعي الدهر ر التماسا منه لتعس ونكس" 9

وقد لاحظ الناقد أن لفظة (زعزعي الدهر) إجراء أسند فيه الفعل إلى غير فاعله لأن الزعزعة أسندت إلى الدهر مع أن الدهر لا يززع بل يُزعزع من فيه وهذا ما أدى في نظره إلى المنافرة في الاسناد إلى ربط المسند اليه بزمان الفعل فتكشفت شعرية الانزياح المثير.

وباستعمالاته الغامضة تغدو اللغة الشعرية عند البحري صراعا ضد اعتبارية اللغة في الإنجاز الشعري لذلك عدت هذه الدراسة إجراءا أسلوبيا طريفا يوهم القارئ به ليحدث في الأخير عنصري المفاجأة وخيبة الانتظار. فيكون البحري قد أثر في اللغة ومارس الضغط الأسلوبي على المتلقي بفنون سحرية عذبة.

فلو تتبعنا الانزياح في قصيدة "أحن إلى خبز أمي" لمحمود درويش لوجدنا القصيدة رغم قصر كلماتها إلا أنها واسعة جدا في دلالتها حيث يبرز الانزياح في أكثر من مستوى :

1- الانزياح الدلالي

"أحن إلى خبز أمي

وفهوة أمي

ولمسة أمي"¹⁰

"الخبز" و"القهوة" لا يقتصران على دلالتيهما الغذائية المادية، بل ينزحان ليشكلا ن رمزا للدفع، للهوية، للانتماء، وللوطن، فالخبز هنا وطن مصغر، والقهوة طقس من طقوس الحميمية والذاكرة. هذا انزياح عن المعنى القاموسي للكلمات

2 الانزياح التركيبي

يأتي التكرار البنيوي

"أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي"

هذا التوازي في التركيب يعيد إنتاج المعنى، وبالتالي فإن العمل الأسلوبي ينبغي أن يتبع أولا الشحن العاطفي في الكلام، ثم يدرس خصائص الأداء انطلاقا من دراسة نفسية اللغة وهنا يتم الاستعانة بطريقتين أولهما مقارنتها بوسائل تعبير أخرى (مقارنة خارجية)، وثانيهما مقارنتها بأنماط تعبيرية فيما بينها داخل اللغة كما يجب تفعيل العمل الأسلوبي بعلم الدلالة الذي تتكشف من خلاله الدلالات الخارجية للكلمات التي تحمل بصمات مبدعيها وثقافتهم.

ومن هنا وجب النظر إلى الآثار الفنية كعوالم مستقبلية من جهة ومن التطور التاريخي من جهة ثانية "فأسلوبية تخلق من المعلومات التاريخية هي أسلوبية مقفلة، وإن نقدا يغرق في تاريخ الأفكار فيبالغ في الاهتمام بجزئيات دلالية مكرسا آثار ثانوية على حساب الآثار الخالدة هو نقد منحرف"⁹، كيف لا والكاتب صورة من روح زمنه. لذلك كانت الأسلوبية عند **المسدي** علم لساني يدرس مجال التصرف من خلال القواعد البنيوية وذلك لانتظام جهاز اللغة. تُعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداء تأثري في.

وأخيرا نقول إن هذه الدراسات الأسلوبية المنتشرة في الوطن العربي عموما هي استكمال البنية الثقافية النقدية المستحدثة وما على الناقد إلا صهر هذه الثمار والابتعاد عن الاجترار.

6. خاتمة:

ان دراسة الأسلوب سواء من خلال الاليات الكلاسيكية او المنهجيات الحديثة ،تكشف لنا ان اللغة الادبية ليست مجرد وسيلة للتواصل ،بل اداة فنية ذات طاقات تعبيرية وجمالية لا تُحَد .

لقد بين التحليل الاسلوبي الكلاسيكي كيف اولى النقاد العرب الاوائل اهتماما كبيرا بالصور البيانية ،والبنية اللغوية ، وجمال النظم ، في اطار علوم البلاغة والنحو ، فكانت نظرتهم للاسلوب تنطلق من بلاغة التعبير ومطابقة الكلام لمقتضى الحال. اما في السياق الحديث فقد تطور التحليل الاسلوبي ليصبح اكثر دقة وعلمية ،اذ صار يدرس النص في مستوياته ، الصوتية ، والتركيبية ، والمعجمية ، والدلالية ، مع التركيز على الاختيار الاسلوبي والبعد الانزياحي ، مما اتاح للنقاد رؤية النص من زوايا اكثر تركيبا وتعقيدا وهذا ما يجب على القارئ العربي العمل به ليس فقط اكاميا بل حتى على مستوى القارئ البسيط وحتى في التعامل مع النصوص الادبية في المراحل الدراسية ومن اهم النتائج المتوصل اليها

- ✓ الاسلوب هو هوية الكاتب الادبية وبصمته الخاصة ،يتجلى من خلال اختياراته اللغوية والبنائية
- ✓ التحليل الاسلوبي الكلاسيكي يُظهر التقاليد البيانية والذوق العربي الرفيع في تقييم النصوص .
- ✓ التحليل الحديث يُقدم رؤية علمية دقيقة للنص ، ويعتمد على مناهج لسانية وسيميائية ..
- ✓ الجمع بين المنهجين (الكلاسيكي ، والحديث) يُوفر رؤية اعمق واكثر شمولاً للنص الادبي .
- ✓ التحليل الاسلوبي يفتح امام القارئ ابواب التذوق ، ويحوّله من قارئ عابر الى مشارك فعال في خلق المعنى ولذلك كان الأسلوب فن في التشكيل اللغوي يعكس رؤية الكاتب ، ودرجة وعيه الجمالي ، وعمق احساسه بالحياة ، وكل تحليل اسلوبي ناجح هو نوع من إعادة اكتشاف النص ، و استخراج "الموسيقى الخفية" التي تنبض في أعماق الكلمات

ان النصوص الأدبية التي ورثناها او الحديثة والتي نقرأها اليوم ليست مجرد كلمات على ورق ، بل عوالم نابضة بالرموز والايقاعات ، والانفعالات . ،وان إعادة تأويل النص من منظور اسلوبي حديث ليست ترفانقديا ، بل هي دعوة الى قراءة اعمق ، واكثر وعيا ، واكثر انصافا للنصوص. الاسلوب هو قلب النص وروحه ، وهو المسافة التي يقطعها الكاتب بين اللغة والذات ، وبين العالم والحرف . وحين تعيد تأويل النص من زاوية اسلوبية ، فانك لا تكتفي بفهم ما يقول بل تحاول ان تنصت الى كيف يقول ولماذا قاله هكذا دون غيره؟

انت كقارئ عربي مدعو لا الى حفظ النصوص فقط ، بل الى فتحها ، ومساءلتها ، والانصات الى طبقاتها الخفية ففي كل استعارة مهجورة ، وفي كل بناء نحوي مقلوب ، وفي كل إيقاع متردد ، هناك نبض خفي لشاعر او كاتب ، او امة كاملة تحاول ان تقول شيئا ابعد من اللغة . وختاما أقول: اقرا بأسلوب ، وتامل الأسلوب فرما في ظلال الكلمات يولد المعنى الحقيقي. وهنا نقول ما قاله ريفاتير كلما كانت اللغة الشعرية شديدة المفاجأة كلما كان وقعها على نفس المتلقي أعمق.

7. الهوامش:

1- ينظر كاترين بيلسي، الممارسات النقدية، تر سعيد الغاميدي، ط1، دار المدى، 2001، ص68.

2- ينظر: أدونيس ديوان أوراق في الريح منشورات دار الاداب بيروت طبعة جديدة 1988 ص25

- 3- نفسه.
- 4- عز الدين جلا جي الفجاج الشائكة منشورات المنتهى السداسي الأول 2020 دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر ص91
- 5- نفسه ص53
- 6- إليا أبو ماضي الديوان دار العودة بيروت ص 145
- 7-المنتبي أبو الطيب الديوان دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1983 ص 232
- 8-عبد الملك مرتاض نظرية البلاغة دار القدس العربي للنشر والتوزيع ص151
- 9-البحتري أبو عبادة الوليد عبيد الله 284هالديوان تحقيق حسن كامل صيرفي ط2 دار المعارف مصر ص1152
- 10-محمود درويش الديوان عاشق من فلسطين الطبعة الأولى 1966 ص 13

8. قائمة المراجع:

- أدونيس .أوراق في الريح .بيروت: دار الآداب، طبعة جديدة، 1988.
- أبو الطيب المنتبي .الديوان .بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1983.
- أبو عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .الديوان .تحقيق: حسن كامل صيرفي، ط2، القاهرة: دار المعارف.
- إليا أبو ماضي .الديوان .بيروت: دار العودة.
- بيلسي، كاترين .الممارسات النقدية .ترجمة: سعيد الغامدي، ط1، دمشق: دار المدى، 2001.
- جلاجي، عز الدين .الفجاج الشائكة .الجزائر: دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، السداسي الأول، 2020.
- درويش، محمود .الديوان: عاشق من فلسطين .الطبعة الأولى، 1966.
- عبد الملك مرتاض .نظرية البلاغة .عمان: دار القدس العربي للنشر والتوزيع،